﴿سورة التين﴾

وفيها خمس مسائل:

المسألة الأولى: ما الذى أقسم به ربنا فى أول السورة المباركة ؟

والجواب: أقسم الله ﷻ بالتين والزيتون وطور سنين والبلد الأمين ولنا معها وقفات:

الأولى: اختلف العلماء فى المراد بالتين والزيتون، فالبعض كابن عباس قال: إن المراد بهما أعيانهما أى التين الذى نأكله والزيتون الذى نعصره، وجزم ابن القيم أنه المراد فى السورة، بيد أن البعض كابن جرير الطبرى والحافظ ابن كثير يرون أن المراد بهما المواضع التى يُزرعان فيها فالمراد بالتين:مسجد دمشق، والمراد بالزيتون: بيت المقدس، وهى الأرض المباركة أرض الشام التى عاش فيها عيسى بن مريم – عليه السلام – وكذا قالوا عن طور سينين إنه الجبل الذى نبت فيه الشجر والمراد به محل وموقع هذا الجبل الذى كلم الله ﷻ فيه موسى كليم الله واحتجوا على ذلك بأن الله ﷻ ختم هذا القسم بالبلد الأمين وهى مكة المباركة ليكون فى ذلك جمعاً بين محل عيسى وموسى ونبينا محمد ﷺ، وقالوا إنه لا يوجد تناسب بين القسم بالتين والزيتون ثم القسم بطور سنين والبلد الأمين، لكن أكثر المفسرين على خلاف هذا، حيث يرون ما ذهب إليه ابن عباس ﷺ بأن القسم بأعيانهما: أى التين الذى نأكله والزيتون الذى نعصره، وبعض المفسرين كالألوسى يرى أنه لا تنافى بين القولين وهذا – والعلم عند الله – هو الأقرب للصواب وأدنى للتوفيق، فيكون القسم بأعيانهما والمراد به البقاع والأماكن .

الثانية: ذكر أهل العلم فى قيمة التين والزيتون أقوالاً كثيرة كلها تدل على أهميتهما وفائدتهما، حتى قال بعضهم عن التين: هو أشبه شئ بفاكهة الجنة،فهى فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص إذ لايُرمى من ثمرتها شئ، فكلهاــ كل، إذ لا قشر لها يُنزع، ولا نوى يُرمى، ولا بذور تُلقى، بخلاف

غيرها فالتمرة تُرمى نواتها، والبرتقال يُرمى قشره، وقد أبدعها الله ﷻ على قدر لقمة الآكل.

أما الزيتون فهو شجرة مباركة كما قال ربنا: ﴿**يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ**﴾ (١)، وكل الزيتون فوائد حتى أن أطباء القلب يوصون باستعمال زيت الزيتون الذى يحتوى على أحماض دهنية غير مشبعة وهو ما يميزه عن بقية الزيوت ولذا يوصى الأطباء باستعماله بديلاً عن أنواع الزيوت الأخرى التى ترفع نسبة الكوليسترول فى شرايين القلب،بينما يعمل زيت الزيتون على تفكيكها وإزالتها كما قال أهل الطب، أورد الفخر الرازى أن (مريضاً لابن سيرين:"رأيت في المنام كأنه قيل لي: "كُل اللامين تشف"، فقال: "كُل الزيتون، فإنه لا شرقية ولا غربية") (٢).

الثالثة: أما طور سينين فهو جبل الطور بسيناء الذى كلم الله ﷻ عنده موسى بن عمران – عليه السلام – والبلد الأمين البلد هو أى مكان مأهول مسكون، والأمين أى الآمن من الأعداء أن يغزوا أهل الحرم، ولا خلاف بين العلماء أن المراد بالبلد الأمين هى مكة المكرمة التى فيها ولد رسولنا – ﷺ– ومنها بُعث، وقد سماها الله تعالى بأم القرى فى قوله تعالى: ﴿**لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ (٣)، وحرَّمها يوم أن خلق السموات والأرض، هذا كله قسم من الله ﷻ ببعض مخلوقاته ولله تعالى أن يُقسم بما شاءمن مخلوقاته وليس لأحد من خلق الله أن يُقسم إلا بالله ﷻ .

المسألة الثانية: علام أقسم الله تعالى ؟

والجواب: أقسم الله ﷻ على أنه خلق الإنسان فى أحسن تقويم، فقال: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)**﴾، قال العلامة السعدى: (أى تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق) (٤)، وقد خلق الله ﷻ

(١) سورة النور / من الآية ٣٥ .
(٢) مفاتيح الغيب ، ٣٢ / ١٠ .
(٣) سورة الشورى / من الآية ٧
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٩٢٩

كل كائن حى منكباً على وجهه إلا الإنسان فقد خلقه معتدل القامة مستوياً قائماً على ساقيه، وهذا من ناحية الشكل، وإن كان الواجب عدم التوقف عند حدود المنظر، ورحم الله ابن عاشور حين علق على هذه الآية بكلام نفيس مفاده أن تقويم صورة الإنسان الظاهرة ليس هو المعتبر عند الله ﷻ ولا جديراً بأن يُقسم عليه إذ لا أثر له في إصلاح النفس وإصلاح الغير والإصلاح في الأرض، وإنما الذي نأخذه من هذه الآية أنَّ الإنسان مخلوق على حالة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿**فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عليها**﴾[1]، وقول رسوله ﷺ (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه) [2]، أقول: وأنا أميل إلى ما قاله ابن عاشور بدليل ما بعده من قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ(٥)**﴾ ، فمَن فسر ﴿**أَ أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ (٤)**﴾ بالقوة والفتوة والشباب فسَّر﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥)**﴾ بأنه ارتداد الإنسان إلى أرذل العمر وانتكاس حاله من القوة إلى الضعف ومن الإقبال إلى الإدبار، لكن هذا التفسير لا يستقيم مع الاستثناء فى الآية التى بعدها ﴿**إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ**﴾ فلا يُعقل أن يُستثنى الذين آمنوا من الوصول إلى أرذل العمر والردة إلى أسفل سافلين، وهذا يدعم القول إن المقصود من الآية هو تغير الفطرة السليمة التي خلق الله الإنسان عليها، ومن ثبت على هذه الفطرة أمِن على نفسه من أن يرتد إلى أسفل السافلين فكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ونال بفضل الله ورحمته الأجر غير الممنون .

المسألة الثالثة: لم قال الله تعالى: ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ(٥)﴾ ولم يقل (أسفل السافلين) ؟

والجواب: قوله: ﴿**أَسْفَلَ سَافِلِينَ(٥)**﴾ أكثر عموماً وأقوى شمولاً، فالكافر المنتكس على فطرته سيرتد إلى أسفل من أى سافل وأحط من أى رتبة كانت فى البهائم العجماوات، أو الحشرات الحقيرات، أو الصم الجمادات، ولذا كان التنكير هنا أكثر تعميماً وأقوى دلالة على الانتكاس والانحطاط فى الرتبة .. والله أعلى أعلم .

---

(١) سورة الروم / من الآية ٣٠ .
(٢) صحيح البخارى ، ١١/ ٥٧٣ ، ورقمه ٤٧٧٥ .

المسألة الرابعة: ما معنى (مَمْنُونٍ) فى قوله تعالى : ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)﴾؟

الجواب: الممنون هو اسم مفعول من الفعل منَّه أى قطعه، ومنه قول ذى الإصبع :

إنى لعمرك ما بابى بذى غلق * على الصديق ولا خيرى بممنون**

فالأجر غير الممنون هو المتصل غير المقطوع، وهناك معنى آخر للأجر غير الممنون أي هو الذى لا يُمَن به عليهم، قال الفخر الرازى: (واعلم أن كل ذلك من صفات الثواب، لأنه يجب أن يكون غير منقطع وأن لا يكون منغصاً بالمنة) [١] .

المسألة الخامسة: مَن المخَاطَب فى قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧)﴾ ؟

والجواب: قد يصلح أن يكون الخطاب للإنسان على سبيل الالتفات والمعنى ما الذى يدفعك للتكذيب بهذا الدين القويم بعد أن رأيت بعينيك كل هذه الأدلة والبراهين، قال الزمخشرى: (والمعنى: أنّ خلق الإنسان من نطفة، وتقويمه بشراً سوياً وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلاً أوضح منه علىقدرة الخالق، وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع) [٢] .

وقد يكون الخطاب للرسول ﷺ والمعنى علام يكذبونك يا محمد، والأوفق للسياق المعنى الأول، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور قال: قلت لمجاهد: **﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ(٧)﴾** عنى به النبي ﷺ؟ قال: "مَعَاذ الله! عنى به الإنسان"، وهكذا قال عكرمة وغيره) [٣] .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٢/ ١٢ .
(٢) الكشاف ٤/ ٧٨٠ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٤٣٥